العدد ١١٨ A-1 ايلول ٢٠٢٥
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
No. 18A-1 – Sept 2025 Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

العلّة الصّرفيّة عند ابن فضّال المجاشعي (ت ٤٧٩هـ) في كتابه شرح عيون الإعراب

The Morphological Reasoning in Ibn Faddāl al-Mujāshiʿī's (d. 479 AH) Sharḥ ʿUyūn al-Iʿrāb

د. مريم علي عجيل
جامعـــة تكريـــت كلية التربية للبنات/ قسم اللغة العربية

mali@st.tu.edu.iq

التمهيد

أهمية الدراسات الصرفية في التراث العربي ودورها في فهم النصوص وضبط اللغة

تعد الدراسات الصرفية من أبرز ميادين الدرس اللغوي في التراث العربي، إذ ارتبطت نشأتها ارتباطاً وثيقاً بضرورة حماية النص القرآني والسنة النبوية الشريفة من اللحن والتحريف، فكان الصرف - مع النحو - السياج الحافظ للغة العربية.

ويعتبر علم الصرف أحد الاضلاع الرئيسية في دراسة اللغة العربية ويُعنى بدراسة بنية الكلمات وتحليلها إلى مكوناتها الصرفية المختلفة، ويعني هذا دراسة بنية الكلمة وبيان ما يحدث فيها من تغييرات من حيث الاشتقاق والاعلال والابدال والجمع والتصغير والتذكير والتأنيث، وما يستدعيه هذا من تغيير في الوظائف الدلالية للبنية الصرفية ولم يرد مصطلح (علم الصرف) بمفهومه -الاصطلاحي-واضحاً في آثار المشتغلين بالحقل الصرفي في المراحل المبكرة التي تمثل جذورها الأولى، فأول ما يطالعنا مصطلح (التصريف)[١]، في أقدم النصوص التي وصلت إلينا قول سيبويه: **((هذا باب ما بنت العرب من الاسماء والصفات والافعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به، ولم يجيء في كلامهم إلا نظيره، من غير بابه، وهو الذي يسميه النحويون تصريف الفعل))**[٢] يحمل نص سيبويه في معنى التصريف الذي ينحصر فيما كان يسمى بـ(مسائل التصريف)، كما يحمل معناه في التغيير في البنية الصرفية بالزيادة والاعلال والابدال والادغام, [٣]

أما ابن جني فيقول: **((التصريف أنما هو أنَّ تجيء إلى الكلمة الواحدة فتصرفها على وجوه شتى مثال ذلك أن تأتي إلى (ضَرَب) فتبني منه مثل (جعفر)، فتقول: (ضَرْبَب)...))**[٤].

يقصد بهذا التصريف القياس اللغوي [٥]، الذي يأتي بعد مرحلة التصريف.

---

(١) ينظر: نقد المحدثين للدرس الصرف التراثي (عرض وتقويم) ، أحمد علي أحمد المكرفح، (أطروحة دكتوراه): ١٣.

(٢) الكتاب: ٤/ ٢٤٢.

(٣) ينظر: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة: ١٨.

(٤) المنصف: ١/٣-٤.

(٥) ينظر: نقد المحدثين للدرس الصرفي التراثي (عرض وتقويم) ، (اطروحة دكتوراه): ١٤.

ومن جاء بعد سيبويه لم يبتعد عن مراده في ذلك، فالمبرَّد عدَّ البدل والزوائد والحذف والابنية ليست هي التصريف أنَّما تقع فيه، ويشير ابن السراج إلى مفهوم التغيير [٦] في مصطلح التصريف بقوله: **((ما عرض في أصول الكلام وذواتها في التغيير))**[٧]، فلا يختلف المفهوم عنده عما فهم من سابقيه مع توسيع دائرته في خمسة أقسام، زيادة وإبدال وحذف وتغيير بالحركة والسكون وإدغام. [٨]

إذن عُرف التصريف بأنه جزء من أجزاء النحو بلا خلاف من أهل الصناعة، يقول: **((إنك لا تكاد تجد كتاباً في النحو إلا والتصريف في آخره...))**[٩] .

ذلك أنَّ المراحل الأولى لنشأة علم العربية كانت الانظار فيها متجهة نحو أواخر الكلمات، لِفُشُو اللحن فيها، ولم يكن فيها تمايز بين علوم العربية، وفي تلك المرحلة ظهر في الكوفة معاذ الهراء [١٠]، وهو الذي عُدَّ واضع علم الصرف [١١]، لأنه كان مولعاً بالأبنية والتمارين.

وقد استنبط الكوفيون كثيراً من القواعد الصرفية، سابقين بذلك البصريين، الذين كان الصرف عندهم في الدرجة الثانية بعد النحو.

وما أنَّ جاء القرن الثالث الهجري حتى ظهر لنا أول مؤلَّف مستقل في علم الصرف العربي هو كتاب (التصريف) لأبي عثمان المازني (ت: ٢٤٩)، بعد كتاب سيبويه الذي جمع بين النحو والصرف، فجاءت أهمية كتاب المازني ليفصل الدرس الصرفي عن النحوي وجمع القواعد الاساسية في بناء الكلمة وما يطرأ عليها من تغييرات كالأعلال والإبدال والتصغير والمصادر والميزان الصرفي، وشُرح الكتاب شروحاً متعددة، وكذلك نوّه بعض المعاصرين بقيمته العلمية، وبعضهم يقلل من قيمته ويقرر أنه لم يصل إلى حدّ استيعاب أبواب الصرف ومسائله كما استوعب ذلك سيبويه [١٢].

إلا أنَّه يعدّ أول من حاول الفصل بين موضوعات الصرف والنحو وإن كانت محاولته لا تستوعب موضوعات علم الصرف كافة، فقد فتح الجهود أمام النحاة لاستقلال على الصرف عن النحو، بعد ذلك أصبح التأليف في الدرس الصرفي نموذجاً مستقلاً يختلف عن النموذج النحوي، وله نظريته الخاصة.

وأدى تطور الدرس الصرفي في المنهج والقضايا التي تدخل فيه للوصول إلى نظرية صرفية مستقلة عن النظرية النحوية، وقد احتوت كتب الدرس الصرفي على أبواب وموضوعات صرفية تتعلق بتصريف الأفعال، والاشتقاق والصيغ ومعاني الزيادة، فقد بيّن علماء الصرف القدامى المباحث الصرفية

---

(٦) ينظر: المقتضب: ١/ ٣٥٠.

(٧) الأصول: ٣/ ٣٢١.

(٨) ينظر: المصدر نفسه، ونقد المحدثين للدرس الصرفي التراثي (عرض وتقويم)، ١٤.

(٩) شرح الشافية، للرضي الأستراباذي: ١/٦.

(١٠) معاذ الهراء: هو معاذ بن مسلم الهراء، لقب بالهراء، لأنه كان يبيع الهرويّ من الثياب، ولد في أيام الخليفة يزيد بن عبد الملك الأموي، وتوفي في خلافة الرشيد سنة ٨٧١ هـ، أخذ عنه الكسائي شيخ المدرسة الكوفية. ينظر: نزهة الألباء: ٥٠.

(١١) ينظر: الاقتراح في أصول النحو ص: ٤٢٨.

(١٢) ينظر: المغني في التصريف: ١٢.

التي تدور حول بنية الكلمة (أصلها ووزنها)، وما يطرأ عليها من تغييرات صوتية أو تركيبية (إعلال وابدال، وإدغام) أضافة إلى مباحث التصغير والجمع والنسب والاشتقاق.

وهي المباحث التي نضجت عند الخليل وسيبويه، ثم توسع فيها المازني وابن جني وغيرهم.

وعلم الصرف ميدان لغوي دقيق يحتاجه كل باحث ودارس للغة العربية، فهو ميزان العربية فيه نَعرِفُ أصل الكلمة من زوائدها، وإذا كان في اللغة ما لا نصل إليه إلا سماعاً، فأن الجزء الأكبر من اللغة واقع تحت باب القياس، وذلك لا يمكن معرفته إلا من خلال علم الصرف [١٣].

وكان ينبغي أن يقدَّم علم الصرف على غيره من علوم العربية، إذ أنه يختص بمعرفة الكلمة في ذاتها دون أنَّ تُرَّكب في جملة، ومعرفة الشيء في ذاته قبل التركيب مقدمة على معرفته بعد التركيب لكن تأخره بين علوم العربية جاء لدقته وحاجة طالبه للتدريب [١٤].

فهو يدرس تغييرات وتحولات الكلمة المفردة في أطار مجموعة من العلل والاحوال الصرفية [١٥]، وله فوائد في معرفة بنية الكلمات وما يصيبها من تغيير -سواء كانت اسماً أو فعلاً- فمثلاً في الأفعال يصيبها التغيير في الحركة يؤدي إلى تغيير في المعنى

وقد يصيب الأفعال التغيير في المبنى وذلك بزيادة حروف فيصيبها زيادة في المبنى والمعنى أيضاً [١٦]، والصرف يعيينا كذلك على معرفة تصاريف الكلمة وأصولها فالحروف الاصلية تثبت في جميع تصاريفها، أما الحروف الزائدة فإنها تأتي في بعضها فقط [١٧] ولهذه الحروف المزيدة معانٍ خاصة بها وبزيادتها [١٨].

ومن خلال الصرف يمكن التفريق بين الاسماء العربية والاعجمية، ذلك بسبب دخول اللغة العربية الكثير من الاسماء الاعجمية، واستخدمت كاستخدام المفردات العربية، لكن هذه الاسماء لا توزن، أيَّ ليس لها جذر ثلاثي، فليس لها أصل عربي قد اشتقت منه، وقد تكون هذه الاسماء بنيتها كبنية الاسماء العربية [١٩].

والصرف يعيننا على معرفة الميزان الصرفي فالكلمات في العربية متعددة ومتنوعة البناء، ولا بد من وجود شيء يميز بين هذه الكلمات، فجعل الميزان العربي في اللغة العربية يعرف من خلاله أوزان الكلمات، وتظهر بواسطته الاختلافات في بناء الكلمات [٢٠].

ويعيينا أيضاً في فهم مفردات النصوص الشرعية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وفهم معانيها في سياقها ضمن الجملة وبنيتها التي جاءت بها لإدراك المعنى [٢١].

---

(١٣) ينظر: المنصف: ٢/١.

(١٤) ينظر: المنصف: ٥،٤/١؛ والممتع الكبير في التصريف: ٣٣.

(١٥) ينظر: الصرف العربي أحكام ومعان: ٥.

(١٦) ينظر: أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس انموذجاً: ١٤٧ – ١٤٩.

(١٧) ينظر: شرح نظم المقصود: ٧.

(١٨) ينظر: شذا العرف في فن الصرف: ٥٨-٦٧.

(١٩) ينظر: المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف: ١٤٤.

(٢٠) ينظر: الصرف الكافي: ٢٣- ٢٥.

وبالتالي فأن على الصرف لم يكن علماً شكلياً فقط، بل كان وسيلة لفهم النصوص القرآنية والحديثية وحفظ نقاء العربية من الدخيل وضبط أوزان الكلمات وصيغها، والحد من الاخطاء اللغوية التي يمكن أن ترد خلال الكتابة.

كل ذلك يختص به علم الصرف، مما جعله أساساً متيناً في خدمة اللغة والفكر والثقافة الإسلامية.

المبحث الأول
التعريف بمصطلحات البحث

يتضمن هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: العلَّة تعريفها ونشأتها

المطلب الثاني: ابن فضَّال المجاشعي وكتاب شرح عيون الاعراب

المطلب الأول: العلَّة تعريفها ونشأتها

حدّ العلَّة:

العلَّة في اللغة تأتي بمعنى: السبب، ويراد بها أيضاً: المرض أو ما يغير الشيء عن حاله.

العلَّة: المرض، وصاحبها معتل، والعليل المريض. من عَلَّ الرجل يَعلُّ من المرض. [٢٢]

و**((تقول: هذه علَتِه أيَّ سببه))**[٢٣] وهنا جاءت بمعنى السبب.

واصطلاحاً:

جاء في التعريفات للجرجاني أنَّ العلَّة هي: **((ما يتوقف عليه وجود الشيء ويكون خارجاً مؤثراً فيه))**[٢٤]، وعرَّفه الرَّماني بأنه: **((تغيير المعمول عما كان عليه))**[٢٥].

وذهب الكفوي في الكليات أن التعليل: **((هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره على وقوعه ليكون رتبة العلة متقدمة على المعلول))**[٢٦].

أما عند المحدثين فقد ذكر الدكتور مازن المبارك: ((أن العلة هي الوصف الذي يكون مظنّة وجه الحكمة في اتخاذ الحكم، أو بعبارة أوضح: هي الأمر الذي يزعم النحويون أن العرب لاحظته حين اختارت في كلامها وجهاً معيناً من التعبير والصياغة))[٢٧]

([٢١]) ينظر: طرق الكشف عن مقاصد الشارع، ص: ٤٥-٥٠.

([٢٢]) ينظر: العين: ٨٨/١؛ والصحاح: ١٧٧٣/٥، والمصباح المنير: ٢/ ٤٢٦؛ ولسان العرب: ١١/ ٤٦٧.

([٢٣]) ينظر: المحكم والمحيط الاعظم: ١/ ٩٥؛ والقاموس المحيط: ٤/ ٢١؛ ولسان العرب: ١١/ ٤٧١.

([٢٤]) التعريفات: ١٥٤.

([٢٥]) الحدود في النحو، للرماني، ٣٨.

([٢٦]) الكليات، للكفوي: ٢٩٤.

([٢٧]) النحو العربي، العلة النحوية (نشأتها وتطورها): ٢٠.

فالعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي هي علاقة اشتقاق وتخصيص، ذلك أن العلة هي السبب الخاص الذي يفسَّر التغيير الذي يطرأ على الكلمات، ثم يخصص في مجال التفسير لهذه التغييرات.

نشأة العلة:

العلة ركن من أركان القياس الأربعة، وفيه بيان الاسباب التي أدت إلى استقرار الحكم على ظاهرة معينة، ولهذا شرع علماء اللغة العربية بجمع اللغة وتدوينها ودراستها لاستخلاص أحكامها، حتى ارتبط ذلك بتعليل كثير من ظواهرها المختلفة، وعدم الاكتفاء بالنقل، فجعلوا العلل وسائل لتسهيل الحفظ والفهم، والدفاع عن العربية أمام اللحن وتثبيت قواعدها وابعاد العربية عن التأثر بالمنطق والفلسفة، بعد أن ادخل بعض النحاة المناهج العقلية في بناء القواعد.

ولم تهتم كتب اللغة (قديمها وحديثها) بالعلة الصرفية قدر اهتمامها بالعلة النحوية، إذ لا نجد كتاباً من كتب القدماء، يُفرد فيه جزء للحديث عن العلة الصرفية في الوقت الذي ذكرت كتب التراجم عدداً من الكتب التي ألفت في علل النحو، ولعل أقدم ما ذكرته المصادر من كتب العلل كتاب (العلل في النحو) لقطرب (ت: ٢٠٦هـ) و(علل النحو) للمازني (ت: ٢٣٠)، و(الايضاح في علل النحو) للزجاجي (ت: ٣٤٠هـ)، و(المجموع من العلل) لمبرمان (ت: ٣٤٥هـ)، و(علل النحو) لابن الوراق (ت: ٣٨١هـ) [٢٨].

ولا توجد بين ايدينا أدلة تبين إن للعلة بداءة تاريخية محددة بزمن معين، ولعل عبد الله بن اسحاق الحضرمي من أوائل النحاة الذين اهتموا بالتعليل وبلغوا الغاية فيه، والذي قال عنه ابن سلام: ((إنه أول من بعَّج النحو ومدَّ القياس والعِلل))[٢٩]

وقدم كثير من القدماء ومنهم الخليل وسيبويه وابن جني كثيراً من التعليلات في كتبهم، وقد كثرت هذه التعليلات كثرة مفرطة، سواء القواعد المطردة أو الامثلة الشاذة [٣٠].

وبرز في القرن الثالث الهجري واحد من كبار المعللين وهو أبو العباس المبرّد (ت: ٢٨٥ ه)، وكان شديد الاهتمام بالتعليل [٣١]، وكلما تقدم الزمن زاد اهتمام النحويين بالتعليل، فما أن نصل إلى القرن الرابع الهجري حتى نجد أن التعليل في هذه المرحلة قد بلغ شوطاً متطوراً جداً، فقد كان أبو بكر بن السراج (ت: ٣١٦هـ) من المعللين البارعين، الذي ألف كتاب الأصول في النحو، وأغلب مسائله مبنية على التعليل، أما القرنان الخامس والساس الهجريان فنلاحظ فيهما الاستقرار والركون إلى مؤلفات من سبقهم، فنرى أبو البركات الانباري (ت: ٥٧٧هـ)، من أبرز النحاة في مجال العلَّة النحوية حيث ألف (لمع الأدلة، والاغراب في جدل الاعراب، واسرار العربية والإنصاف في مسائل الخلاف)، ثم طلع في النصف الثاني من القرن السادس الهجري عالم بارز من علماء الاندلس، هو أبو مضاء القرطبي (ت: ٥٩٢ه)، راداً على شيوع العلة وانتشارها بين علماء النحو فألف كتاب (الرَّد على النحاة)، ثم أبو البقاء العكبري الذي ألف كتاب (اللباب في علل البناء والاعراب)، أراد من خلاله أن يجمع تراث الاقدمين من أولوا العلة النحوية قدراً كبيراً من غايتهم[٣٢].

([٢٨]) ينظر: العلة النحوية – تاريخ وتطور، ص ٣٦.

([٢٩]) طبقات فحول الشعراء: ١٤/١.

([٣٠]) ينظر: المدارس النحوية: ٨٢.

([٣١]) ينظر: النحو العربي: ٦٧.

([٣٢]) ينظر: العلة النحوية – تاريخ وتطور – (رسالة دكتوراه): ٨٤–١٢٧.

أقسام العلة:

العلَّة أنواع ثلاثة: (تعليمية وقياسية وجدلية).

أ- العلَّة التعليمية: وهي التي يتوصل بها إلى تعلم كلام العرب، مما يسمع من كلامهم فيقاس عليه، مثال ذلك: أن زيداً قائمٌ، إن قيل: بم نصبتم زيداً قلنا: بأن، لأنها تنصب الاسم وترفع الخبر، لأننا كذلك علمنا وتعلمنا.

ب- العلَّة القياسية: فإن قيل - لمن قال: نصبت (زيداً) بـ (إنّ)، في قوله: إن زيداً قائمٌ - ولم وجب أن تنصب (إنّ) الاسم؟ فالجواب في ذلك أن يقول لأنها وأخواتها ضارعت الفعل المتعدي الى مفعول، فحملت عليه فأعملت إعماله لمَّا ضارعته.

ج- العلة الجدلية: وهو كل ما يعتل به من علل بعد العلل التعليمية والقياسية [٣٣]، إذ أنها تأتي من الإحساس بضرورة منطقة الظواهر والقواعد والعلل جميعاً، وهي مثلاً: أن يقال: من أي جهة تشابهت هذه الحروف والافعال؟، ولم شابهت ما قدم مفعوله على فاعله وهو ليس بأصل؟ وما الذي دعا إلى إلحاقها بالأصل دون الفرع؟ ... ألخ والجواب عن كل ذلك هو علة ثالثة وداخل في الجدل والنظر.

المطلب الثاني: ابن فضَّال المجاشعي وكتابه شرح عيون الإعراب.

هو أبو الحسن علي بن فضَّال بن علي بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن الفرزدقي المجاشعي التميمي [٣٤]. أما اشتهاره بـ (المجاشعي)، فنسبة إلى مجاشع بن دارم بن مالك بن تميم بن عدنان وهو جد جاهلي ينسب إليه خلق كثير، وأما اشتهاره بـ (الفرزدقي) فنسبة إلى الفرزدق، شاعر العربية المشهور، لأن ابن فضَّال كان من ذريته، أما اشتهاره بـــ (القيرواني) نسبة إلى مدينة القيروان مسقط رأسه [٣٥].

عالم باللغة والنحو، ومؤرخ، ومفسَّر، من علماء المسلمين في القرن الخامس الهجري، ولد في مدينة هجر عام (٤٠٤هـ)[٣٦].

أقام مدة بغزنة وسكن بغداد، واتصل بنظام الملك، قال صلاح الدين الصفديّ: **((علي بن فضَّال المجاشعي النحوي كان إماماً في اللغة والنحو والتفسير، وله نظم ومصنفات، سافر ما بين العراق وخراسان ودخل غزنة وأقام بها مدة وصادف قبولاً بها وصنف عدة مصنفات واتصل بالوزير ونظام الملك وتوفي في بغداد سنة تسع وسبعين وأربع مائه وحدَّث عن شيوخه بالغرب وكان يعرف بالفرزدقي القيرواني))**[٣٧].

وذكر ابن مكتوم وابن حجر: **((إنَّ ابن فضَّال كان قد سمع الحديث من أبي محمد مكي بن أبي طالب في قرطبة في منزله))** [٣٨].

---

(٣٣) ينظر: الإيضاح في علل النحو: ٦٤.

(٣٤) ينظر: طبقات المفسرين العشرين: ٨٢، وانباه الرواة ٢/٢٩٩، ومعجم الأدباء: ٥/٢٨٩.

(٣٥) شرح عيون الإعراب: ١٤.

(٣٦) ينظر: تاريخ الاسلام ووفيات المشاهر والاعلام: ٣٢ / ٢٧١.

(٣٧) الوافي بالوفيات:٢١/ ٢٥٣؛ وينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢/ ٢٩٩.

(٣٨) تلخيص ابن مكتوم: ١/١٢٥؛ ولسان الميزان: ٤/٢٤٩.

شيوخه:

تتلمذ المجاشعي على يد مجموعة من العلماء أشهرهم:

أ- علي بن ابراهيم بن سعيد النحوي، المكنى بابي الحسن. الحوفي (ت: ٤٣٠هـ).

ب- مكي بن أبي طالب القيسي، القيرواني (ت: ٤٣٧ هـ).

ت- عبد الله بن الوليد بن سعد بن بكر الأندلسي (ت: ٤٤٨ هـ) [٣٩].

تلاميذه:

أخذ طلاب كُثُر عن المجاشعي العلم أبرزهم:

أ- عبد الله بن عمر بن الحسن الشريف البكري (ت: ٤٨٥هـ).

ب- عبد الملك بن يوسف بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٧٨هـ)

ت- عبد المحسن بن محمد بن علي البغدادي (ت: ٤٨٩هـ)

ث-محمد بن أحمد جوامرد الشيرازي (ت: ٥١٠هـ).

ج- هبة الله علي بن محمد البغدادي ابن الشجري [٤٠] (ت: ٥٤٢هـ).

آثاره:

يعد المجاشعي إماماً في النحو واللغة والعروض وعلوم القرآن والتصريف والتفسير والسير، ويمكن القول انه لم يقتصر علمه على جانب واحد من جوانب اللغة فهو يصنف في جميع العلوم التي ذكرناها، ويترك بعد وفاته جملة من المصنفات التي وصل إلينا قسماً منها، والقسم الآخر لم يصل إلينا منها إلا الأسماء، ومنها:

١.(الاكسير في علم التفسير) مخطوط، وقالوا إنه في خمسة وثلاثين مجلداً.

٢.(اكسير الذهب في صناعة الأدب) مخطوط، ويذكر أنه في خمس مجلدات.

٣.(الاشارة إلى تحسين العبارة)، مطبوع.

٤.(الدولة في التاريخ)، مخطوط، ويذكر أنه في أكثر من ثلاثين مجلداً.

٥.(شرح عيون الاعراب)، مطبوع.

٦.العروض، مخطوط.

٧.(العوامل والهوامل في الحروف)، مخطوط.

٨.(البرهان العميدي في التفسير)، مخطوط.

٩. (شجرة الذهب في معرفة ائمه العرب)، مخطوط.

١٠. (شرح بسم الله الرحمن الرحيم)، مخطوط.

١١. شرح معاني الحروف للرماني، مخطوط.

١٢. الفضول في معرفة الأصول، مخطوط.

([٣٩]) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢١٩/٢؛ وطبقات الداووديَّ: ٢٣؛ ابن فضَّال المجاشعي (ت: ٤٧٩هـ) وجهوده النحوية (بحث منشور): ٣.

([٤٠]) ينظر: ابناه الرواة: ٢/ ٣٠٠؛ سير اعلام النبلاء: ٦٥٨/١٧؛ وبغية الوعاة: ٢٢/١؛ وابن فضَّال المجاشعي وجهوده النحوية (بحث منشور): ٥٣.

١٣.معارف الأدب، مخطوط، ويذكر أيضاً باسم: معارف الأدب في النحو، وذكروا انه في ثلاث مجلدات.
١٤. المقدمة في النحو، مطبوع.
١٥. النكت في القرآن، مطوع.
١٦. مُتخيّر الفريد، مخطوط. [٤١]
١٧.

وفاته:

توفي المجاشعي سنة تسع وسبعين وأربعمئة هجرية في بغداد، ودفن في (أبزر) وهي محلة في بغداد [٤٢].

قيمة كتاب شرح عيون الاعراب (للمجاشعي ٤٧٩ هـ)

يعدُّ الكتاب من المصادر الرئيسية في النحو والصرف في القرن الخامس الهجري تقريباً بموضوعاته في الإعراب وقواعد النحو. إذ يعرض مسائل لغوية دقيقة ويبرز آراء المدارس المختلفة في هذا العلم، ولا سيَّما وأن هذا الكتاب ألفه المجاشعي في عصر ظهرت فيه الخلافات بين البصريين والكوفيين مما جعله شاهداً على تطور الدرس النحوي.

فهو يضم شواهد ومباحث قد لا تتوافر في كتب أخرى، ويعد أداة مهمة لفهم تطور الفكر النحوي.

حقق الكتاب محققان: الأول حقَّقه الدكتور حنّا جميل حداد، والمحقق الثاني: الدكتور عبد الفتاح سليم: وفيه شرح المجاشعي كتاب (عيون الاعراب) للفزاري، (هو أبو محمد عبيد الله بن احمد الفزاري نسبة إلى فزارة وهي قرية في مصر)[٤٣].

والغاية من تأليفه إنه رأى مؤلف جدّه كتاباً مختصراً، موجزاً يحتاج إلى شرح وتوضيح، ومقدمة كتابه: ((وسِبْطه الشيخ العميد الأجل أبو منصور نصر بن عال بن علي بن عبيد الله مكّن الله العز علاه ورأيته يميل إلى شرح هذا الكتاب..... وامتثلت ما أمر، ورأيت المؤلف أحب الايجاز، والاختصار، وتجنب الإطالة والاكثار))[٤٤].

([٤١]) ينظر: معجم الأدباء: ١٣/ ٩٢ و١٤ / ٩٢؛ وشرح عيون الاعراب: ١٧-١٨؛ وانباه الرواة: ٣٠٠/٢؛ وهمع الهوامع: ٢ / ٣٤٦، وبغية الوعاة: ١٨٣/٢؛ وخزانة الأدب: ٢٣/١؛ وابن فضَّال المجاشعي (٤٧٩هـ) وجهوده النحوية (بحث منشور): ٧.

[٤٢] ينظر: النجوم الزاهرة: ١٢٤/٥؛ ومعجم البلدان: ٥٨١/١.

[٤٣] ينظر: تاريخ بغداد: ١٠/ ٣٦٥؛ وابن فضال المجاشعي (ت ٤٧٩) وجهوده النحوية (بحث منشور): ٧.

[٤٤] شرح عيون الاعراب: ٣١.

الواضح من ذلك أنه شرح تعليمي تحليلي، يعتمد على التفسير وكثرة الشواهد ومناقشة الآراء، وعلى بيان علل الاعراب والصرف، ذلك أنه ألحق كل باب من أبواب كتابه بعدة مسائل تحت عنوان مسائل هذا الباب بحيث وصلت مسائل الشرح الى مئتين وسبع وخمسين مسألة[٤٥].

ويمكن أن يعدَّ من المؤلفات التي تستخدم كمصدر ثانوي قوي في الدراسات النحوية ولم يرفضه أحد أو يعتبره ضعيفاً.

المبحث الثاني

العلل الصرفية في كتاب شرح (عيون الإعراب)

يُظهر المجاشعي في هذا الكتاب عناية واضحة ببيان العلل الصرفية، فلم يقتصر على ذكر القاعدة، بل أبان علَّتها ومسوغاتها وفق منهج يزاوج بين النقل عن الائمة والتمحيص العقلي.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة العلل الصرفية عند ابن فضَّال المجاشعي في كتابه شرح عيون الإعراب للوقوف على منهجه في عرضها وتحليلها وبيان أثر ذلك في إثراء الدرس الصرفي.

وبالنظر إلى كتاب شرح عيون الإعراب، وجدت أن العلل الصرفية لا تقتصر على باب دون آخر، بل تتوزع على جميع أبواب الكتاب، والمجاشعي مع تحليلاته الكثيرة لا يصرَّح بالعلة كأن يقول: (علّة كذا... كذا) وإنَّما يفهم من إشارته إلى العلة.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة العلل الصرفية عند المجاشعي بحسب ورودها في مسائل الكتاب.

١.علة الكراهة

وهي من أكثر العلل التي نجدها عند المجاشعي وذلك لارتباطها الوثيق بكثير من القضايا الصرفية وتداخلها معها، ومن ذلك قوله: ((فإن كانت علامة المؤنث تاء حذفت نحو: مسلمات، لئلا يجتمع تأنيثان، وكانت الأولى أولى بالحذف دون الثانية، لأنها تدل على معنى التأنيث، ومعنى الجمع مكان إبقاء ما يدل على معنيين أولى من إبقاء ما يدل على معنى واحد.)) [٤٦]

الاصل في العربية أنهم يتجنبون اجتماع علامتي تأنيت في كلمة واحدة بسبب الثقل في النطق وكراهة التكرار وهذا ما ذهب إليه سيبويه وابن جني ومن تبعهم من الصرفيين[٤٧].

فلم يقولو أن جمع (مسلمة) (مسلمتات) تجنباً للثقل، وهذا ما جاء به المجاشعي، فحذفت التاء الاولى وبقت الألف والتاء وحجته أنهما تدلان على الجمع والتأنيث في آن واحد.

وعلل بهذه العلة ظاهرة صرفية أخرى وهي نقل كسرة الواو والياء في (قول) و(بيع) إلى القاف والباء بعد أنَّ سلبا حركتيهما، وذلك بقوله: ((إن الأصل كان (قول) و(بيع) فكرهوا الكسرة على الواو والياء فنقلوها إلى القاف والباء بعد أنَّ سلبا حركتيهما فسكنت الياء وانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فصار قيْل وبيعْ)) [٤٨].

---

[٤٥] ينظر: ابن فضَّال المجاشعي (ت ٤٧٩ هـ) وجهوده النحوية: ٦.

[٤٦] شرح عيون الإعراب: ٦٤.

[٤٧] ينظر: الكتاب: ١٥٤/٢؛ والخصائص: ٢ /١٥؛ والمفصل: ٢١.

[٤٨] شرح عيون الإعراب: ٨٨.

حدث أعلالان في كلمة (قيل) أولهما (أعلال بالنقل) المتمثل بنقل حركة الواو في (قول) بعد سلب حركتها إلى القاف والاعلال الثاني (اعلال بالقلب) بقلب الواو ياء مجانسة لحركة القاف.

أما كلمة (بيع) فحدث فيها اعلال بالنقل بنقل حركة الياء إلى الباء بعد سلب حركة الباء وتسكين الياء [٤٩].

فكرهوا الكسرة على الواو، لأن الكسرة لا تلائم الواو فقلبت الواو ياء لمناسبة الحركة قبلها، وطلباً للخفة في النطق وهو ما يسمى بالأعلال بالقلب.

وعلل المجاشعي بهذه العلة الأصل في كلمة (مهما) بقوله: ((الاصل فيها على قول الخليل (ماما) فكرهوا اجتماع حرفين من جنس واحد وأبدلوا من ألف (ما) الأولى (هاء) وأجاز سيبويه أنَّ تكون - مركبة من (مَهْ) التي للكف، و (ما) التي للشرط)) [٥٠].

وأيدَّ هذا الرأي الرماني [٥١].

فأبدلت ألف (ما) الأولى إلى هاء لقربها من مخرجها.

٢.علّة الجواز

ونحو هذه العلّة ما ورد في تعليق المجاشعي على سؤال في قوله: ((فإن قيل: فكيف جاز أن يجمع بين تأنيثين في حُبْليات وصحراوات قيل: جاز ذلك لأن إحدى التأنيثين قد ذهب لفظه، وقيل جاز لاختلاف التأنيثين كما قالوا: إحدى عشرة ولم يقولوا ثلاثة عشرة))[٥٢].

وهذا الكلام يفسر لنا سبب قلب الألف المقصورة في (حُبْلى) إلى ياء والهمزة في (صحراء) الى واو، ثم أضافة الألف والتاء علامة جمع المؤنث، فبقلبهما فقدت الكلمتان علامة التأنيث، وبذلك تحقق الشرط في عدم الجمع بين علامتين للتأنيث، فجاز إضافة الألف والتاء كعلامة لجمع المؤنث السالم وحملها على (ثلاثة عشرة) فلا يجوز الجمع بين علامتي التأنيث والأصح قولنا (ثلاث عشرة أمرأه).

٣.علة الخِفَّة

وهي من أوسع العلل التي كثيراً ما يلجأ إليها العلماء لتفسير التغييرات الصرفية، رغبة في تحقيق الخفة والانسجام في النطق والتخلص من الثقل نتيجة لتغير حركة الحرف أو موضعه في الكلمة مما ينعكس على نطق ما يجاوره من أصوات وعلل المجاشعي بهذه العلة تسكين عين (نعِم وبئِس) المتمثل بقوله: ((إن الاصل في نِعَم وبئِسَ، على وزن شَهِد ولَعِبَ إلا أنهم أسكنوا الثاني استخفافاً))[٥٣].

---

[٤٩] ينظر: شرح شافية ابن الحاجب: ٣/٩٦؛ وشرح المفصل: ٥/٤٤٤؛ والنحو الوافي: ٤/ ٧٩٧؛ المهذب في التصريف: ٣١٢.

[٥٠] شرح عيون الاعراب: ٢٨٨؛ وينظر: الكتاب: ١/٤٣٣.

[٥١] ينظر: الرَّماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه: ٣٠.

[٥٢] شرح عيون الإعراب: ٦٥.

[٥٣] شرح عيون الاعراب: ٨٣.

يعني أن الأصل هو الكسر في العين، لكنهم ألزموا التسكين للتخفيف وكثرة الاستعمال، وقد ورد ذلك في كتاب سيبويه: بقوله: ((وأصل نعم وبئس: نعم وبئس، وهما الأصلان اللذان وصفا في الرداءة والصلاح، وإنما ألزموها الإسكان لكثرة استعمالها تخفيفاً، وقد جاء على الأصل))[٥٤].

وهذا يُبيِّن أن في التراث لغات ووجوه متعددة في الصيغة، لكن الأصل الذي ذكره النحاة الأوائل - كما في سيبويه وابن جني- هو كسر العين.

وعلل المجاشعي بهذه العلة أيضاً (إبدال الكسرة فتحة) والياء ألفاً في قوله: ((أن تقول يا غُلاماً أقْبل. تتبدل من الكسرة فتحة. ومن الياء ألفاً لأن الألف أخف من الياء)) [٥٥]، فالأصل في (يا غُلاماً) هو يا (غُلامي) كما ذكرها المجاشعي في قوله: ((أن تقول: يا غُلامِي وهو الأصل))[٥٦]. فوقع الابدال في النداء بتحويل الكسرة إلى فتحة والياء إلى ألف، تعليلاً بالخفة، إذ إن الألف أخف على اللسان من الياء ويرجع هذا التبديل إلى رغبة العرب في التيسير.

٤.علَّة الحمل على النظير

يظهر في استعمالات العرب أنهم قد يجرون حكماً لغوياً على لفظة قياساً على أخرى لا تشاركها في جميع الخصائص وهو ما عبر عنه اللغويون بمصطلح الحمل على النظير، وقد علل بها اللغويون الكثير من المظاهر اللغوية والنحوية والصرفية. ومنهم المجاشعي الذي علل الأصل في بناء (حبَّذا) بقوله: ((أنَّ أصل حبّ: حبَبَ، فأسكنت الباء الأولى وادغمت في الثانية. فقيل حَبّ وركب مع (ذا) حتى صار بمنزلة الشيء الواحد. ولهذا لم يثنَ (ذا) ولم تجمع ولم يؤنث؛ لأنه قد صار بمنزلة الباء من ضَرَبَ))[٥٧].

فهي كما قال النحاة: ((أشبه شيء بالمثل))[٥٨] ويقصد أنَّ (ذا) لا تثنى ولا تجمع وصارت بمكانة أو منزلة شي لشبه أو مثله، في كلمة أو بناء وهو حرف الباء في (ضرب) لأن أصلها (حبّ + ذا) حبّذا، وأصلها (حببذا) على قياس (ضرب).

٥.علة البيان

وعلل بها المجاشعي تعدد اللغات في لفظة (قول وبيع) وذلك بقوله: ((ومن العرب من يَشم الضَّم أو منهم من يرَّد ذوات الياء إلى الواو وبضم الأول حرصاً على البيان. فيقول: قُوْلَ وبُوْعَ. وهذه اللغة لم تأتِ في القرآن، لِقِلَّتها وشذوذها))[٥٩].

---

[٥٤] الكتاب: ١/ ٣٠١-٣٠٢؛ وينظر البيان في شرح اللمع: ١/ ٤٧٠؛ وشرح التسهيل (لابن مالك): ٣/٥.

[٥٥] شرح عيون الإعراب: ٢٦٨.

[٥٦] المصدر نفسه: ٢٦٨.

[٥٧] شرح عيون الإعراب: ٨٥.

[٥٨] ينظر: الكتاب: ١/ ٣٠٢، ومعاني النحو: ٤/ ٣٠٧.

[٥٩] شرح عيون الإعراب: ٨٨.

وهذه من ظواهر التنوع اللهجي في الإعلال والابدال، إذ تميل بعض القبائل إلى الاشمام، وهو نطق بين الكسر والضم يجمع بين صفتي الحركتين من غير أنَّ يسمع صوت الضَّم، بل يرى من حركة الشفتين فقط[٦٠].

وعلل المجاشعي ذلك مراعاة البيان فيراعي الخفة في النطق فيميل إلى الإشمام.

وأكد على ذلك سيبويه بقوله: ((أيَّ أنَّ المتكلم حينما يريد بيان الحركة على الحرف لا ينطق بها بل يضم شفتيه كما لو كانتا في وضع نطق الضمة من دون أنَّ يكون هناك أي نوع من التصويت الذي يشعر بالإشمام))[٦١].

بينما تميل قبائل أخرى إلى رد الياء الى الواو نحو (بِيع) فتصبح (بُوْع) مع ضم الحرف الأول لأنَّ الواو لا تناسب الكسر فيغيرون الحركة لتتلاءم مع ما بعدها من حرف اللين، حرصاً على البيان وإظهاراً للأصل الصوتي للكلمة، فالعلة عنده من ظاهر كلامه (مرة صوتية لتحقيق التخفيف بين الحركات والانسجام مع حروف اللين، وبيانية مرة أخرى لإظهار الأصل وتميز اللفظ من غيره). فهو يربط بين الجانب الصوتي والجانب الدلالي.

٦.علة أمن اللبس

استعان بها المجاشعي في تعليل أنَّ يكون المَشْرب والمَرْكِب في معنى المشروب والمركوب، وذلك بقوله: ((فأما قولهم للدّابة: مَرْكِب، فلأن الدابة موضع الركوب، وليس وضع (المَفْعل) موضع (المفعول). وكذلك مشرب عذب. إنما معناه موضع الشرب إلا أنه وصف بعذب للمجاورة من حيث كان إذ عذب موضع الماء، عَذُب الماء. ولا يمتنع أنَّ يكون المركب والمشرب في معنى المركوب والمشروب، لأنه قد أمن اللبس فيهما بخلاف المصدر))[٦٢].

وهذا يعني لا ضرر في أن تستعمل الكلمة بمعنى (مفعول) لأن المعنى واضح من خلال السياق ولا ملتبس لغيره.

فالمركب يمكن أنَّ يكون مكان الركوب أو (المركوب) ما يركب. فإذا قلنا: ((هذا مركب جميل))، فالمفهوم هو الدابة أو وسيلة الركوب وليس المكان.

٧.علة القياس العقلي

علل المجاشعي بهذه العلة معنى الفعلين المختلفين، وفي الأول معنى الثاني من جهة القياس العقلي وذلك بقوله: ((أنَّ يكون معنى الفعلين مختلفاً، إلا أنَّ في الأول معنى الثاني كقولك: كسر انكساراً. فكل هذا جائز حسن وإن كان (انكسر) لا يدل على الكاسر من جهة لفظه، ولكن من جهة القياس العقلي الذي يقتضي أن كلَّ فعلٍ له فاعل لا بدَّ منه))[٦٣].

---

[٦٠] ينظر: الايضاح في شرح المفصل (لابن الحاجب): ٤٧٩؛ واتحاف فضلاء البشر: ١٠١.

[٦١] الكتاب: ٢/٤٠٠.

[٦٢] شرح عيون الأعراب: ١٦٩.

[٦٣] شرح عيون الأعراب: ١٧٣ – ١٧٤.

كَسْراً، هو مصدر الفعل المتعدي (كَسَر) والفعل يدل على الكاسر والمكسور بلفظه، أيَّ فيه فاعل ومفعول، مثل كسرَ زيدٌ الزجاجَ، أما (انكسر) هو فعل لازم لا يحتاج إلى مفعول ولا يدل على الكاسر، لأن البناء للمطاوعة، (أي حدوث الفعل في الذات نفسها).

أيَّ أنَّ (كَسْر وانكسار) جائز أن يكون في سياق واحد من حيث المعنى والاستعمال لأن كل منهما يدل على الحدث نفسه في الأصل (هو حصول الكسر)، وأن اختلف طريق حصوله (بفاعل أو بنفسه)، فالفعل (كسر) يدل على الفاعل والمفعول أما (انكسر) يدل على المطاوعة لكن من جهة القياس العقلي الذي يقتضي أنَّ كل انكسار لا بد أنَّ يسبقه كسر من فاعل أيَّ أنه حدث بسبب وأن لم يذكر في اللفظ، فالمنطق العقلي يكمل ما لا يصرح به اللفظ.

وهذا ما ناقشه اللغويون في باب الاعتلال من حيث استعمالاته ودلالاته والفروق بين اللازم والمتعدي وتقاربها بالمعنى والقياس، وهذا ما يبرر القول من أن لفظ اللازم لا يدل بالضبط على الكاسر، لكن العقل يقدر سبباً أو فاعلاً [٦٤].

٨.علة البدل

وعلل المجاشعي بهذه العلة أصل التاء وقلة تصرّفها وخصَّها بأشهر الاسماء في قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٧] قال المجاشعي: ((وأما أصلها فإنها منقلبة عن (الواو)، والواو منقلبة عن (الباء) فصارت التاء بدلاً من بدل، فلهذا قبل تصرّفها وخُصَّت بأشهر الاسماء))[٦٥].

فأصل (التاء) في قوله تعالى: ((وتالله)) منقلب عن (الواو)، (والواو) منقلب عن (الباء) فصارت التاء بدلاً من بدل، فلهذا قلَّ تصرّفها وخصَّت بأشهر الأسماء، أي أن (الواو) نفسها جاءت بدلاً عن (الباء) في الأصل، لأن الباء أقدم حروف القسم

جاء في الكشاف: ((قلت أن الباء هي الأصل: والتاء بدل من الواو المبدلة منها، وإن التاء فيها زيادة معنى التعجب كأنه تعجب من تسهيل الكيد على يده. وتأنيه لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه لصعوبته وتعذره))[٦٦].

وكان المتكلم يعجب من حال قومه فجاء بالقسم النادر ليدل على صعوبة الموقف وشدته.

ثم استعملوا (الواو) بعدها تخفيفاً وتنوعاً في الاستعمال لهذا قلَّ تصرفها في الكلام لأنها بعيدة عن الأصل جاءت بدل من بدل، هذا استعملت مع لفظ -الجلالة (الله) سبحانه وتعالى- فقط.

وعلل بهذه العلة ابدال الهاء في (هناه) بدل من الواو في قوله: ((وهذه (الهاء) التي في (هناه) عندهم بدل من الواو في هَنوك وهَنَوات لعلة عند أصحاب التصريف يطول شرحها))[٦٧].

فالإبدال ظاهرة صوتية شاعت في أكثر أصوات العربية، قال ابن فارس: ((من سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعض))[٦٨].

---

[٦٤] ينظر: الكتاب: ٢٦/١١؛ والخصائص: ١/ ٢١٠؛ وشرح المفصل: ٢٣١٠/٥ و٢٣٨٤.

[٦٥] شرح عيون الإعراب: ٢٠٠.

[٦٦] الكشاف: ٣٣١/٢؛ وينظر: معاني النحو: ١٦٣/٤٠.

[٦٧] شرح عيون الاعراب: ٢٦٩.

ويعني أن هذا الحكم يشتمل أغلب مخارج الحروف وبالتأكيد هذه الظاهرة ناتجة عن اختلاف اللهجات العربية.

فلو لاحظنا الهاء الآخرة في (هناه) بدل من الواو في هنوك وهنوات. وكان أصله (هناو) فابدلت الواو هاء، فقالوا هناه[٦٩]. ولعل سبب هذا الإبدال ((أن الهاء أقرب المخارج إلى الألف وهي شبيهة بها))[٧٠] و((لأن الياء أقرب الحروف شبها بالهاء، ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس، ومن هنالك صار مجرى الياء والواو والألف والهاء في روي الشعر واحد))[٧١].

٩. علة المشابهة النفطية

علل المجاشعي بهذه العلة تأنيث لفظة (الذهب)، بقوله: ((إن الذهب والفضة جنس واحد بدلالة أن أحدهما يؤخذ عن الآخر في الزكاة، وكلاهما مؤنث، لأن الذهب جمع ذهبة، وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فتأنيثه سائغ))[٧٢].

وهذه العلة من علل التأنيث اللفظي التي تبنى على المشابهة اللفظية.

والمقصود بهذه العلة أن بعض الجموع إذا لم يكن الفرق بين مفرده وجمعه إلا زيادة الهاء فأن تأنيث هذا الجمع سائغاً، يعني سهلاً لان الهاء هي علامة التأنيث الصريحة، فبين المفرد والجمع الهاء التي تدل على التأنيث.

وهذا ما ذهب إليه ابن جني في قوله: ((...هذا الجمع يذكر ويؤنث، وهو كقولهم: تمر وتمرة وسَحاب وسحابة، وصَخر وصخرة، وروض وروضة وشجر وشجرة، ونخل ونخلة))[٧٣].

ويعني إذا الحقت الهاء بالمفرد أو الجمع للمتابعة في اللفظ بين المؤنثات، فجعلوا هذا سبباً في تأنيثه، بدليل قوله: (بالذهب والفضة) من جنس واحد.

١٠. علة الاستثقال:

وهي من العلل التي يفسر بها علماء العربية كثيراً من الظواهر الصرفية، إذ إن المتكلم يميل الى السهل من الكلام ويبتعد عن الثقيل منه [٧٤].

---

[٦٨] الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٢٠٣.

[٦٩] سر صناعة الاعراب: ٢/٥٦٠.

[٧٠] الكتاب: ٤/١٦٢.

[٧١] العين: ٣ / ٣٤٨؛ وينظر: صوت الهاء في العربية (بحث منشور)، للدكتور ابراهيم كايد محمود، مجلة جامعة أم القرى، ح ١٣، ع ٢٤، ص ٢٤٤.

[٧٢] شرح عيون الاعراب: ٢٥٧.

[٧٣] المذكر والمؤنث: ٢/١٢٤ وينظر: شرح شذور الذهب: ٨٨؛ والممتع في التصريف: ١/١٨١؛ وشرح المفصل: ٣/٨٥.

[٧٤] ينظر: أبو البركات الانباري دراساته النحوية: ١٩٧.

فالقصد من هذه العلة تحصيل الخفة في الكلام، والابتعاد عن الثقل، وهذا ما ذهبت إليه الدكتورة خديجة الحديثي بقولها: ((هذه العلة هي من حيث النتيجة عين علة التخفيف أو الاستخفاف))[٧٥].

وقد فسر ابن جني هذا بقوله: ((أما إهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التركيب في بعض الأصول المتصورة أو المستعملة. فأكثره متروك للاستثقال، وبقيته ملحقة به ومقفاه على إثره))[٧٦]. وقد تناولها السيوطي في الاقتراح ومثل لها بقوله: ((وعلة الاستثقال كاستثقالهم الواو في (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة))[٧٧].

وقد علل المجاشعي بهذه العلة تسكين الياء في (يا غلاميْ) بقوله: ((آن تقول: يا غُلاميْ فتسكن الياء استثقالاً للكسرة عليها))[٧٨]، إذ إن الأصل يا (غُلامِيَ) فتفتح الياء كما تفتح الكاف في (غُلامِكَ) وهي من الأوجه الواردة في (يا غُلام) فتسكنوا الياء استثقالاً للكسرة التي قبلها[٧٩].

١١. علة تجنب الاجحاف

الإجحاف لغة: يقال: ((أجحف بالشيء إذا ذهب به))[٨٠]، والإجحاف: وهو ((الإذهاب والتنقيص))[٨١]، ويعرف بأنه: ((اختصار المختصر))[٨٢].

فعلل المجاشعي بهذه العلة جواز ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف، بقوله: ((إن الثلاثة أعدلُ فكرهوا أن يحذفوا منه شيئاً فيجحفوا بها))[٨٣]، وهذه المسألة اختلف العلماء فيها، فذهب الكوفيون إلى جواز ترخيم الاسم الثلاثي إذا كان أوسطه متحركاً، وذلك نحو: قولك في (عُنُقٍ)، (ياعُنُ) وفي (حجر) (ياحَجَ) وذهب بعضهم إلى أن الترخيم يجوز في الاسماء على الإطلاق، أما البصريون فذهبوا إلى أن ترخيم ما كان على ثلاثة أحرف لا يجوز بحالٍ، وإليه ذهب الكسائي من الكوفيين[٨٤]، لإن الأصل في الأبنية أن تكون ثلاثية، فهي أتم الأوزان، فكرهوا: حذف حرف منها حتى لا يختل توازنها أو تنقص عن أصلها فيجحف بها أي ينقص منه ويختل، وبذلك يتفق المجاشعي مع البصريين في عدهم الكلمة الثلاثية أعدل الابنية. ولذلك كرهوا حذف حرف منها لما في ذلك من إخلال بالأصل ونقص في البنية.

---

[٧٥] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: ٣٧٣.

[٧٦] الخصائص: ١/٥٥.

[٧٧] الاقتراح في أصول النحو: ٩٨.

[٧٨] شرح عيون الاعراب: ٢٦٨.

[٧٩] ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٩.

[٨٠] مقاييس اللغة: ١/ ٤٢٨.

[٨١] الكليات: ٥٨.

[٨٢] شرح التصريح على التوضيح: ٢/٢٧٣.

[٨٣] شرح عيون الإعراب: ٢٧٤.

[٨٤] ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ١ / ٢٩٢.

النتائج

يمكن أن تخلص هذه الدراسة إلى جملة من النتائج التي تعبر عن ملامح منهج ابن فضّال المجاشعي في التعليل الصرفي، وذلك على النحو الآتي:

١. لا يكتفي بذكر العلة الصرفية بوصفها تفسيراً للظاهرة اللغوية، بل يتوسع التحليل عنده ليشمل التعليل الدلالي والقياسي من خلال ربطه بالاستعمال اللغوي. مثلاً في شرحه لعلة حذف التاء من (مسلمة) عند جمعها جمع مؤنث سالم لئلا يجتمع تأنيثان، الأولى أولى بالحذف لأنها تدل على معنى التأنيث ومعنى الجمع فمكان إبقاء ما يدل على معنيين أونى من إبقاء ما يدل على معنى واحد، فربط القاعدة هنا بين الصرف والدلالة.

٢. يظهر بوضوح تأثره بمبادئ المدرسة البصرية، ولا سيما اعتماد القياس، والتعليل بدافع الخفة التي يشير إليه سيبويه مثال على ذلك: تسكين عين (نعِم وبئِس) استخفافاً وهو بهذا يوافق ما ذهب إليه البصريين.

٣. يميل المجاشعي إلى تعدد العلل للظاهرة الواحدة، فلا يقتصر على تعليل واحد بل يجمع بين علتين أو أكثر وفقاً لما يقتضيه السياق اللغوي، مثال ذلك: تعليله ارجاع الياء إلى الواو وذلك بضم الحرف الأول حرصاً على البيان فيقول: بَوْعٍ والأصل فيها (بَيع) فيغيرون الحركة لتتلاءم مع ما بعدها من حرف اللين حرصاً على البيان وإظهارا للأصل الصوتي للكلمة، وبهذا يربط بين الجانب الصرفي والجانب الدلالي.

٤. من أكثر العلل وروداً في تعليلات المجاشعي الصرفية علة التخفيف، لتحقيق الخفة واليسر والسلامة في النطق التي تمثل ركناً أساسياً في تفسير التغييرات الصرفية.

٥. يشير في علله الصرفية إلى منع الالتباس بين الابنية المتتابعة فليس الغاية ضبط الشكل فحسب بل سلامة البنية كما في مثال المَشْرِب والمَرْكب الذي أشرنا إليه سابقاً.

٦. يشير في علله أنَّ بعض الأفعال اللازمة تعامل في تفسيرها الصرفي بوصفها ذات معنى تعدي وان لم يتعد الفعل في الظاهر وأشرنا إلى هذا في علة القياس العقلي بين (كسر وانكسار) فالمجاشعي أكد العلاقة بين الحدث وركناه في بناء الدلالة، فالعلة هنا تعدت حدود البنية اللفظية إلى حقيقة الفعل ومقتضياته العقلية.

٧. يظهر من خلال منهجه لطبيعة اللغة، فيقدم اللغة المطردة، ويعترف بالوقت نفسه بما يطرأ عليها من شذوذ أو اختلاف طبعي تقتضيه طبيعة الاستعمال، كما وصف (قَوْل وبَوْع) بقوله ان هذه لم تأتِ في القرآن لقلتها وشذوذها.

٨. وأخيراً يمكن القول أنَّ علله ذات طابع تعليمي تستهل استيعاب القاعدة، مما يساعد الباحث على استخراج العلة، وعلله ليست جامدة ومعقدة بل يقدمها تحت ضابط العلة ذات طابع تحليلي.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

-المصادر

١.أبو البركات ودراساته النحوية، للدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، سوريا، ٢٠١٦ م.
٢.إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطيّ الشهير بالبناء (ت ١١١٧ هـ)، الطبعة: الثالثة، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٦.
٣.الاصول في النحو، لابن السراج أبو بكر محمد بن السرى بن سهل النحو (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.
٤.الاقتراح في أصول النحو للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ضبطه وعلق عليه: عبد الحكيم عطية، راجعه وقدم عليه علاء الدين عطية، الطبعة الثانية، دار البيروتي، ٤٢٧هـ- ٢٠١٦ م.
٥. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين، أبو الحسن، علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م.
٦.الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، للأنباري أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦١م.
٧.الايضاح في شرح المفصل، لابن الحاجب، أبي عمرو جمال الدين عثمان بن عمر (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: الدكتور موسى بناي العليلي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٩٧٦م.
٨.الايضاح في علل النحو، للزجاجي أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق (ت ٣٣٧ه)، تحقيق: الدكتور مازن المبارك، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٣م.
٩.بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦٤م.
١٠.البيان في شرح اللمع لابن جني، للشريف عمر بن ابراهيم العلوي الكوفي (ت ٥٣٩هـ، الطبعة الأولى، دار عمار ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١١.تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإسلام، للذهبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
١٢.تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ ه)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤١٧ه-١٩٩٧م.

١٣.التعريفات للجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ه)، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
١٤.تلخيص اخبار النحويين واللغويين، لابن مكتوم، أحمد بن عبد القادر بن أحمد (ت ٧٤٩ ه) دار الكتب العلمية-لبنان.
١٥.الحدود في النحو، للفاكهي، عبد الله بن أحمد النحوي (٩٧٢ه)، تحقيق: د. المتولي رمضان أحمد الدميري، الطبعة الثانية، مكتبة وهبة – القاهرة، ١٤١٤هـ -١٩٩٣م.
١٦.خزانة الادب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي - القاهرة)، ١٤١٨ه-١٩٩٧م.
١٧.الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ه)، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية، دار الهدى للنشر، بيروت – لبنان.
١٨.الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، الطبعة الثالثة، دار الفكر للنشر، سوريا - لبنان، ١٩٩٥م.
١٩.١٩ سر صناعة الأعراب، أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠.سير أعلام النبلاء للذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ ه)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، الطبعة التاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ.
٢١.الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، للدكتورة خديجة الحديثي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٧٤م.
٢٢.شذا العرف في فن الصرف، لأحمد الحملاوي، الطبعة الثانية، دار الكتب للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م.
٢٣.شرح تسهيل الفوائد، لابن مالك، محمد بن عبد الله (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون، الطبعة الأولى، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٢٤.شرح التصريح على التوضيح، للأزهري، خالد بن عبد الله (ت ٩٠٥ ه)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٠ م.
٢٥. شرح شافية ابن الحاجب، للرضي الاستربادي (ت ٦٨٦ه)، تحقيق: محمد نور الحسن احمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥م.
٢٦. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد (ت ٧٦١ه)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع سوريا.
٢٧. شرح عيون الأعراب، للمجاشعي، أبي الحسن علي بن فضّال (ت ٤٧٩ه) تحقيق: حنا جميل حداد، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦ه- ١٩٨٥م.
٢٨.شرح المفصل للزمخشري، لابن يعيش، موفق الدين بن علي (ت ٦٤٣ ه)، قدم له: أميل بديع يعقوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١ هـ.

٢٩. شرح نظم المقصود في علم الصرف، للشيخ أحمد بن عبد الرحيم، لجنة التأليف والنشر.
٣٠. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها، لابن فارس، أبي الحسن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ه)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت - لبنان / ١٩٦٣هـ.
٣١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، أبي نصر اسماعيل بن حماد (ت ٤٠٠ه)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.
٣٢.الصرف العربي أحكام ومعان، للدكتور محمد فاضل السامرائي، الطبعة الأولى، دار ابن كثير، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٣٣.الصرف الكافي، أيمن أمين عبد الغني، مراجعة: أ.د. عبده الراجحي، أ.د. رشدي طعيمة، أ.د. محمد علي سحلول ، أ.د. ابراهيم ابراهيم بركات، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.
٣٤.طبقات المفسرين للداودي، الداودي، محمد بن علي بن أحمد (ت ٩٤٥ه)، راجعه وضبطه: لجنه من العلماء بإشراف الناشر، الكتب العلمية، بيروت.
٣٥.طبقات فحول الشعراء، للجمحي، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤ م.
٣٦.طبقات المفسرين العشرين، للسيوطي، أبي بكر جلال الدين بن عبد الرحمن (ت ٩١١ه)، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة.
٣٧.العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ه)، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢م.
٣٨.القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد ين يعقوب (ت ٧١٨ه)، الطبعة الثامنة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٩.كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١م.
٤٠.- العلة النحوية- تاريخ وتطور حتى نهاية القرن السادس الهجري مع تحقيق كتاب علل لابن الوراق المتوفى سنة ٣٨١ه، تأليف: محمود جاسم محمد الدرويش، جامعة بغداد-كلية الآداب، ١٩٨٧م.
٤١.الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ه)، الطبعة الأولى، دار الفكر، ١٩٨٣م.
٤٢.الكليات لأبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، الطبعة الثانية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨١م.
٤٣.لسان العرب لابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ه)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
٤٤. لسان الميزان، لأبي حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ه)، تحقيق: دائرة المعرفة النظامية، الطبعة الثانية: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٣٩٠ه-١٩٧١م.

٤٥. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، أبي الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨ه)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤٦. المدارس النحوية، للدكتور شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
٤٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، أبي العباس أحمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٠ه)، المكتبة العلمية، بيروت.
٤٨. معاني النحو للدكتور فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع-الأردن، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م.
٤٩. معجم الأدباء، لياقوت الحموي (ت ٦٢٦ه)، دار المستشرق، بيروت- لبنان.
٥٠. معجم البلدان، لياقوت الحموي، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
٥١. المغني في تصريف الأفعال، محمد عبد الخالق عضيمة (ت ١٤٠٣هـ)، الطبعة الثانية، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.
٥٢. المفصل في صنعة الأعراب، للزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ه)، تحقيق: د. علي بو ملحم، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال -بيروت، ١٩٩٣م.
٥٣. مقاييس اللغة، لابن فارس، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥ه)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٤. الممتع في التصريف، لابن عصفور، أبي الحسن علي بن مؤمن الاشبيلي (ت ٦٦٩ ه)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، المطبعة العربية، حلب، ١٩٧٠م.
٥٥. المهذب في علم التصريف، الدكتور هاشم طه شلاش، د. صلاح الفرطوسي، د. عبد الجليل عبيد، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
٥٦. مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، الدكتور حسين هنداوي، مكتبة لسان العرب، دار القلم.
٥٧. المنصف، لابي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ه)، تحقيق: ابراهيم مصطفى وعبد الله امين، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٤م.
٥٨. المنهاج المختصر في علمي النحو والصرف، لعبد الله بن يوسف العنزي، الطبعة الثالثة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م.
٥٩. النحو العربي والعلة النحوية نشأتها وتطورها، للدكتور مازن المبارك، الطبعة الثالثة، دار الفكر، لبنان – بيروت، ١٩٨١م.
٦٠. النحو الوافي، للدكتور: عباس حسن، الطبعة الرابعة، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.
٦١. النجوم الزاهرة في ملوك مصر القاهرة، للأتابكي، أبي المحاسن جمال الدين يوسف تغري (ت ٨٧٤ هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
٦٢. همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ه)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٦٣. الوافي بالوفيات، للصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠ه- ٢٠٠٠م.

-الأطاريح والبحوث

١. ابن فضّال المجاشعي (ت ٤٧٩ ه)، وجهوده النحوية، عبد الرضا جواد حيال، بحث منشور، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، مايو ٢٠٢٢م.
٢. صوت الهاء في العربية، د. ابراهيم كايد محمود، بحث منشور، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة واللغة العربية، ج ١٣، العدد ٢٤.
٣. نقد المحدثين للدرس الصرف التراثي، عرض وتقويم، أعداد: أحمد علي أحمد المكرفح، أطروحة دكتوراه، إشراف: أ. د. محمد سعيد صالح ربيع الغامدي، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الملك عبد العزيز السعودية، ١٤٤٤ هـ - ٢٠٠٢م.